مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

تمثيلات العنف الجندري بين الهيمنة والمقاومة: مقاربة نسوية في رواية أولاد الناس

"Representations of Gender-Based Violence between Domination and Resistance:

A Feminist Approach to the Novel Awlad al-Nas

د. هاني إسماعيل أبو رطيبة [1]
Dr. Hany Ismaiel Abu Retaba
كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى، سلطنة عمان
Hani.ismail@unizwa.edu.om

سمانة دهقاني
Samaneh Dehghani
كلية الآداب واللغة الأجنبية، جامعة كاشان، إيران
samanehdehghan765@gmail.com

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 01-09-2025
تاريخ القبول 12-11-2025

الكلمات المفتاحية
العنف
الجندر
ريم بسيوني
التحرش
الجنس

ملخص

العنف ضد المرأة هو أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة. تتألف رواية أولاد الناس من ثلاث حكايات متوازية، تشكّل كلّ واحدة منها محورًا سرديًّا يُعالج قضايا مرتبطة بالسلطة والعنف الجندري والهيمنة الذكورية ومعاناة النساء. وتُجسّد الشخصيات النسائية نماذج مختلفة لضحايا العنف الممنهج، وتسعى الكاتبة إلى إبراز الكيفية التي تواجه بها النساء ألمهنّ الداخلي، وكيف يمكن لهنّ، أحيانًا، أن يتماهين مع الجلّاد أو المعتدي في سياق مركّب من القهر والتعلّق والانكسار. لقد أبرزت الدراسة تمثيلات العنف الجندري في رواية «أولاد الناس» للكاتبة ريم بسيوني، من خلال قراءة نسوية تحليلية تركز على الجسد الأنثوي كفضاء للهيمنة والاستعمار الرمزي. اعتمدت الدراسة مقاربات من النقد النسوي، ونظريات التروما النفسية، ورؤية ما بعد كولونيالية لفهم العلاقة المركبة بين الجسد، الهوية، والسلطة. وتُظهر القراءة كيف يتحول الجسد الأنثوي إلى استعارة سياسية تمثل الوطن المستباح، وكيف يُعاد إنتاج الصمت والخضوع عبر العنف، في حين تظهر لحظات وعي ومقاومة صامتة في اللغة والسرد؟

مقدمة

لا تزال ظاهرة العنف مستمرة منذ العصور القديمة حتى يومنا هذا، على الرغم ما يشهده العالم من تطور في مختلف المجالات. والعنف الذي نشهده اليوم لا يختلف كثيرًا عمّا كان عليه في الماضي، سواء في شكله أو في هوية مرتكبيه وضحاياه. ويُعدّ العنف ظاهرة معقدة متعددة الأبعاد، إذ يشكّل في آنٍ واحد مشكلة اجتماعية وصحية واقتصادية وثقافية، كما يُعدّ من أبرز مسبّبات الاضطرابات النفسية، كالقلق والتوتر وانعدام الشعور بالأمان. يميل العنف إلى أن يُمارَس من قبل الأقوياء ضدّ الضعفاء. فالأشخاص الذين يشعرون بأنّهم يملكون القوة ويرغبون في تحقيق أهدافٍ معينة، غالباً ما يعتمدون على تلك القوة ويبذلون قصارى جهدهم للوصول إلى رغباتهم، حتى وإن اضطرهم ذلك إلى استخدام العنف. وغالباً ما يكون الضحايا من الفئات الأضعف في المجتمع، مثل النساء والأطفال.

من بين الذين تفاعلوا مع ظاهرة العنف هو كاتب أدبي. فالكاتب، بصفته فردًا في المجتمع، يتأثر بطبقات اجتماعية محددة، وهذه الطبقات بدورها ترتبط بالتربية، والأسرة، والعادات، وكافة المؤسسات الاجتماعية المحيطة به. وبما أن العنف ظاهرة عالمية، فإنها تثير اهتمام الباحث لدراسة كيفية تمثّل هذه الظاهرة. فالعنف يشكّل حضورًا بارزًا في مجمل البحوث والدراسات الأدبية. لهذا السبب، تُعدّ الأعمال الأدبية جزءًا أساسيًا من حياة الإنسان، فهي ثمرة خيال المبدع، ولا شكّ أنها تعكس الواقع الإنساني من

1 المؤلف المراسل

مختلف جوانبه. تكتسب الرواية مكانة محترمة في المجتمع عندما تتناول قصصًا من حياة الناس. وعندها يمكن للقارئ أن يتأمل في ذاته، ويقوم بنوع من المحاسبة النفسية، مما يعود عليه بالفائدة. وغالبًا ما يختار المؤلف موضوعًا جديدًا يناقشه في عمله، متأثرًا بقضايا عصره. ومن بين هذه المواضيع، يبرز العنف كقضية ضخمة وجذابة دائمًا للنقاش. يتم تمثيل العنف في الروايات بأشكال متعددة؛ فإلى جانب العنف الجسدي، هناك أيضًا العنف النفسي والعنف الجنسي. وتُعدّ هذه الأشكال من العنف موضوعًا لعدد من الدراسات الأدبية التي تتناول النصوص من زوايا نظرية ومناهج تحليلية مختلفة.

تتكوّن رواية أولاد الناس: الحكاية الأخيرة من ثلاث حكايات متوازية، تشكّل كلّ واحدة منها محورًا سرديًّا مستقلًّا يُسلّط الضوء على قضايا متعلّقة بالسلطة، والعنف الجندري، والهيمنة الذكورية، فضلًا عن معاناة النساء في ظلّ هذه الأنظمة القمعية. البحث في هذه الرواية له أهمية كبيرة لفهم ظهور مختلف أشكال العنف ضد المرأة وما يترتب عليه من آثار جسدية ونفسية، وكذلك لدراسة العلاقة بين هذه الظاهرة والوطن والمجتمع.

ومن هنا، تنطلق هذه الدراسة من منظور نسوي يهدف إلى تحطيم الهيمنة الذكورية وإرساء مجتمع جديد يقوم على المساواة التامة بين الرجال والنساء، مع ضمان حقوقهم القانونية والاقتصادية. تسعى هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين مفهوم الجسد الأنثوي والعنف والوطن، والكشف عن الرؤية النسوية العميقة التي انتهجتها الرواية للتعبير عن الواقع النسوي في التاريخ، إذ يُعدّ الجسد الأنثوي ساحةً تتلاقى فيها الصراعات الاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث يتجسد العنف ضد المرأة ليس فقط كإيذاء جسدي ونفسي، بل كرمز للهيمنة والاضطهاد الذي يعكس حالة الانقسام والتوتر داخل المجتمع والوطن. لذلك، فإن فهم هذه الروابط يساعد على الكشف عن كيفية تشكل هوية المرأة وتفاعلاتها مع محيطها، ويوفر رؤية نقدية عميقة لقضايا العنف الجندري وتأثيرها على بنية المجتمع ككل.

أسئلة البحث

- كيف يُجسَّد الجسد الأنثوي في الرواية كمكان للسلطة والسيطرة الذكورية؟
- ما هي العلامات والمؤشرات النفسية (التروما) التي تنعكس في هذه التجربة؟
- كيف تستخدم الكاتبة اللغة الأدبية لتمثيل معاناة النساء ومقاومتهن؟

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى كشف المعتقدات النسوية للرواية "أولاد الناس"، وكيفية تناولها داخل النص الروائي. يسعى هذا البحث إلى الكشف عن وجوه المعاناة والعنف الذي تتعرّض له النساء في مجتمعٍ أبويّ، من خلال تحليل التجلّيات الجسدية للعنف ضد المرأة في النص الروائي. ويركّز على العلاقة المركّبة بين الجسد الأنثوي والعنف، بوصف الجسد ليس مجرد موقعٍ للتجربة الإنسانية، بل كـ"ملكية ذكورية" و"حيز لفرض السلطة والهيمنة"، حيث يتحوّل إلى ساحة للصراع الرمزي.

ويُبرز البحث كيف يتمّ تصوير الجسد الأنثوي كرمزٍ للمقاومة من جهة، وكأرضٍ محتلة من جهة أخرى، في سياق تمثيلي يتقاطع مع سرديات الوطن والانتماء. كما يُقارب الجسد بوصفه تمثيلاً رمزياً للمشرق، الذي يعيش تحت وطأة الاحتلال والتفكك، في إعادة إنتاج متخيلة للهويات الفردية والجماعية ضمن فضاءٍ سرديّ مشحون بالتوتر والتصدّع.

الدراسات السابقة

في عام 2021 قدّم الباحثان زينب قاسمي أصل وحسين الإلياسي مفرد دراسة بعنوان «تمثيل العنف في رواية على مائدة داعش وفق نظرية سلافوي جيجك». سعت هذه الدراسة إلى استكشاف تمثيلات العنف المختلفة في الرواية مستخدمة نظرية الفيلسوف سلافوي جيجك كإطار نظري أساسي لفهم أبعاد العنف وأدواره في بناء وتفكيك البنى الاجتماعية، فركز الباحثان على العنف الرمزي المتجلّي في اللغة والخطاب والتصنيفات الثقافية، والعنف النظامي المرتبط بالممارسات المؤسسية التي تشرعن القمع، والعنف الإلهي الذي يستشهد بتفسيرات دينية لتبرير القتل والإبادة. وأظهرت النتائج أنّ داعش توظّف هذه المستويات المختلفة من العنف ضد الإيزيديين بهدف تفكيك البنى الاجتماعية التقليدية وتبرير القمع، مؤكدةً في الوقت نفسه دور العنف في إعادة تشكيل الهويات الجماعية وتأكيد سيطرة الجماعة المتطرّفة على الضحايا والمجتمع ككل.

في عام 2020، قدمت الباحثة نوري رزقا رسالة علمية بعنوان «صورة العنف في رواية 'موت الرجل الوحيد على الأرض' لنوال السعداوي: دراسة تحليلية اجتماعية» في جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية (UIN Ar-Raniry). تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل اجتماعي عميق لصور العنف المتعددة التي تظهر في رواية الكاتبة المصرية نوال السعداوي، والتي تعد واحدة من أبرز الأصوات الأدبية التي تتناول قضايا العنف الاجتماعي والنسوي في المجتمع العربي. اعتمدت الدراسة المنهج السوسيولوجي الأدبي، مستخدمة نظرية الصراع التي طورها رالف داهرندورف (Ralf Dahrendorf) كإطار نظري رئيسي لفهم أسباب العنف وتأثيراته داخل المجتمع. حددت الدراسة أنواع العنف التي تظهر في الرواية بشكل واضح، وتشمل العنف الجسدي (كالضرب والركل وسحب الشعر)، والعنف النفسي (مثل التهديد، والتحقير، والتمييز)، بالإضافة إلى العنف الجنسي (كالاغتصاب والتحرش). أظهرت نتائج هذا البحث أن العنف في الرواية يمارس بشكل أساسي من قبل فئات قوية مثل الآباء، الأزواج، والسلطات، ضد الفئات الضعيفة كالنّساء والأطفال والمرؤوسين، مما يعكس علاقة القوة والسلطة وعدم المساواة الاجتماعية. كما بينت الدراسة كيف تمثل الرواية نقدًا اجتماعيًا حادًا للاستبداد والظلم الطبقي، خاصةً في سياق العنف الموجه ضد المرأة والطبقات المهمشة.

في عام 2018 قدّم الباحثان زينب جعفرتزادا وحسن مجيدي دراسة بعنوان «انعكاس العنف الموجّه ضد المرأة في رواية الكافرة لعلي بدر». هدفت هذه الدراسة إلى تحليل ظاهرة العنف ضد المرأة في الرواية من منظور اجتماعي ونقدي، مع التركيز على عدم المساواة في القوة والتهميش الاجتماعي للنساء داخل المجتمع العراقي. اعتمد الباحثان المنهج التحليلي السوسيولوجي الأدبي مستندين إلى إطار نظري يشخص تأثير الأعراف الذكورية والتطرف الديني في إنتاج العنف، فحدّدا ثلاثة أشكال للعنف في الرواية: الجسدي كضرب المرأة والركل وسحب الشعر، والنفسي كالتهديد والتحقير والتمييز، والاقتصادي عبر حرمان النساء من الموارد والاستقلال المادي. أظهرت النتائج أنّ العنف يمارس بشكل رئيسي من قِبَل فئات قويّة مثل الآباء والأزواج والسلطات ضد فئات ضعيفة كنّ النساء وأطفالهن، مما يعكس علاقة القوة والسلطة وعدم المساواة الاجتماعية، كما بينت الدراسة كيف توظّف الرواية النقد الاجتماعي الحاد للاستبداد والظلم الطبقي، خصوصاً في سياق العنف الموجّه ضد المرأة والطبقات المهمشة.

شنقار (2024م): في مقالها الموسوم بـ"العلاقة الغَصبيّة بين الرجل والمرأة في روايتي ثلاثية المماليك وطريق الغارقين لريم البسيوني: قراءة ثقافية" (مجلة الآداب واللغات، المجلد 35، العدد 137)، تناولت الكاتبة في هذا البحث، إشكالية العلاقات السردية التي تقوم على الغصب العاطفي والنفسي، مركّزةً على ظواهر مثل متلازمة ستوكهولم والإساءة العاطفية كأنماط مقنّعة في لغة سردية جذابة. وقد قُسّم البحث إلى أربعة محاور شملت تقديم الروايات، تحديد المفاهيم النظرية، رصد المظاهر الغَصبية في النصوص، وتلقي القارئات لها. تختلف الدراسة الحالية عن هذا النهج في زوايا التحليل والأهداف؛ فبينما ركّزت شنقار على كشف أنساق الإساءة المبطّنة في العلاقات الروائية من منظور ثقافي نقدي، فإن البحث الحالي يسعى إلى تحليل الرواية من زاوية تمثيلات العنف الجندري في هذه الرواية ضمن مقاربات نسوية ونفسية، مستعينًا بنظرية الصدمة، مما يضعه في حقل مغاير للقراءة الثقافية التي اعتمدتها شنقار.

بعد مراجعة الدراسات المتعلقة برواية «أولاد الناس» تبين أنه لم يُجرَ حتى الآن بحث يختص بدراسة الأبعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية لهذه الرواية بشكل مفصل. كما لم يُنجز بحث مستقل يتناول بشكل خاص تصوير العنف ضد المرأة، وخاصة قضية التحرش الجنسي وعلاقتها بالجوانب النفسية والاجتماعية. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تسعى لسد هذه الثغرة، إذ يعدُّ إجراء هذا البحث خطوة هامة نحو تسليط الضوء على الوضع الاجتماعي والسياسي للمرأة العربية في مختلف العصور، وبيان العلاقة بين جسد المرأة ومدى مقاومتها في الحفاظ على وطنها.

1-الإطار النظري

1-1-العنف وأنواعه

عُرف العنف "Violence " لغوياً " بأنه الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، وأُعنف الشيء: أي أخذه بشدة"[1]، وفي العلوم الاجتماعية، يُعرف العنف بأنه "استخدام السيطرة

1 إبن منظور(1956). لسان العرب، بيروت: بيروت للطباعة والنشر، ص257.

أو القوة بطريقة غير قانونية أو غير مشروعة تؤثر على إرادة شخص ما[1]".

عرّفت منظمة الصحة العالمية (WHO) العنف في تقريرها العالمي الأول الخاص بالصحة والعنف بأنه: "الاستخدام المتعمّد للقوة البدنية الفعلية أو التهديد باستخدامها ضد الذات أو ضد شخص آخر أو ضد مجموعة من الأشخاص أو المجتمع ككل، مما يسفر عن وقوع إصابات أو وفيات، أو إيذاء نفسي أو سوء نمو أو حرمان، أو قد يؤدي بشكل كبير إلى ذلك[2]".

تناول الباحثون والمفكرون من مختلف التخصصات ظاهرة العنف دون تقديم تعريف موحد للمصطلح، حيث تباينت وجهات النظر تبعًا للإطار النظري لكل منهم: "يشير بلاك (Black) إلى أن العنف يُعرَّف على أنه استخدام القوة بشكل غير عادل وغير مبرر، ما يميّزه عن أشكال أخرى من استخدام السلطة. ومن ناحية أخرى، يرى جيمس رول (James Rule) أن العنف يُعد تعبيرًا عن غريزة فطرية جماعية أو حركة بدائية تخلق ظروفًا معينة في سياق الجماعة. في المقابل، يؤكد جان جاك روسو (J.J. Rousseau) أن العنف البشري ليس ظاهرة طبيعية خالصة، بل يتشكل ويتأثر بالسياقات الاجتماعية والتاريخية التي يعيش فيها الإنسان[3]". يمكن استخلاص أن العنف هو كل فعل يسبب ضررًا أو ألمًا، سواء على الصعيد الجسدي أو النفسي، ويُعد تعبيرًا عن استخدام القوة بأشكال متعددة في إطار علاقات السلطة والتفاعل الاجتماعي.

عند جيجك، العنف لا يختزل فقط في أشكاله العارية والظاهرة، بل هو حاضر أيضاً في خلفيات المشاعر المناهضة للعنف وداعمي اللاعنف، ويُدير في الواقع محاولات مكافحة العنف وتعزيز التسامح؛ «العنف المتأصل في طبيعة نظام ما ليس فقط العنف الجسدي المباشر، بل بالإضافة إليه، أشكال أكثر دقة من القهر والإجبار التي تحافظ على علاقات السيطرة والاستغلال، بما في ذلك التهديد بالعنف»؛ جيجك يأخذ في اعتباره كل هذه الأنواع[4].

ظاهرة العنف ضد المرأة تنشأ بشكل رئيسي نتيجة لعدم المساواة في الحقوق والواجبات، وتُعد من أخطر الظواهر الاجتماعية وأكثرها تأثيراً. على الرغم من قدم هذه الظاهرة وجذورها العميقة في كثير من الثقافات، إلا أن انتشارها وتوسع آثارها جعل مكافحة هذه الظاهرة أمراً لا غنى عنه. إذ تُعتبر مؤشراً خطيراً على تراجع القيم الإنسانية والدينية والأخلاقية داخل المجتمع، وما يترتب على ذلك من نتائج سلبية تؤثر سواء على المستوى الاجتماعي أو الأسري. فعلى مستوى المجتمع، تؤدي هذه الظاهرة إلى حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي وتقليل مشاركة المرأة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. العنف ضد النساء هو أحد أشكال العنف الشائعة في كل مجتمع، حيث تتعرض المرأة في الأسرة لتهديد جدي من قبل الرجال. وينبع العنف ضد النساء بشكل خاص من الهيمنة الذكورية التي تعتبر المرأة فيها «جنسًا ثانيًا» و«الآخر»، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج عدم المساواة في السلطة داخل الأسرة. في المجتمعات الذكورية، يكون الرجل في المركز والمرأة في المحيط داخل الأسرة؛ لذلك، يُنظر إلى الرجال كمظهرٍ للتفوق والإبداع، والنساء كمظهرٍ للجهل والعاطفة، وهذان العاملان يؤديان إلى تكوين قوتين متضادتين في الأسرة، مما يترتب عليه نشوء الصراعات والعنف ضد النساء. سيطرة الذكورية داخل الأسرة جعلت من المرأة كيانًا فاقدًا للاستقلالية، وتبقى دائمًا خاضعة للرجل.

العنف يتخذ أشكالاً متعددة ومتنوعة، منها العنف المادي المحسوس والملموس النتائج، الذي يمكن ملاحظته وقياس نتائجه بوضوح على الضحية، حيث يظهر تأثيره المباشر على الجسد. وهناك أيضاً العنف النفسي أو المعنوي، الذي لا تبدو آثاره واضحة على الفور، إذ لا يترك علامات جسدية ظاهرة، ومنها المعنوي الذي لا تظهر آثاره في البداية على شكل ظاهر على الضحية، لأنه لا يترك أثراً واضحاً على الجسد، بل تؤثر على الحالة النفسية للضحية بشكل غير ملموس.

1-2-النقد النسويّ

وُلِدت مدرسة النقد الأدبي النسوي الغربية من رحم الحركة

1 أحمد زآي بدوي(1986)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان.

2 WHO: 1.6 million die in violence annually.

3 رزقا، نوري(2020). صورة العنف في رواية «موت الرجل الوحيد على الأرض» لنوال السعداوي: دراسة تحليلية اجتماعية مقدمة لاستيفاء متطلبات الامتحان النهائي للحصول على درجة الماجستير، جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية، **كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها**، دار السلام، صص 4-5.

4 جيجك، سلافي (2011)، العنف: خمس نظرات من تحت الرمق، ترجمة عليرضا بآكهاد، الطبعة الثانية، طهران: دار هزارة سوم، صص 20.

النسوية الغربية، والتي مرت بثلاث موجات عبر تاريخها الموثق منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا. وقد ارتبطت نشأة النقد الأدبي النسوي بالموجة الثانية من الحركة النسوية والتي كانت قد انتقلت من مرحلة المطالبة بالحقوق السياسية في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين إلى مساحة التضامن النسوي العالمي والعمل المنظم لتأكيد العدل والمساواة بين الجنسين في إطار الاتفاقيات الدولية منذ سبعينيات القرن العشرين. وقد واصلت مدرسة النقد الأدبي النسوي تطورها ونقدها الذاتي لتتماشى مع تطور الحركة النسوية التي أخذت منذ نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات في توسيع نطاق اهتمامها لتتلاقى، بل وتتجاوز، المناهج النقدية المتنوعة، كالبنيوية والتفكيكية والنقد الأدبي الماركسي، والنقد الأدبي الأسود، والنقد الأدبي ما بعد الكولونيالي، وغيرها من المدارس النقدية التي يتقاطع فيها النقد الأدبي، نظرية وتطبيقاً، مع قضايا الانتماء الطبقي والعرقي والثقافي والقومي... وهلم جراً. المقصود بالكتابة النسائية كل الكتابات التي تتم بأقلام النساء بصرف النظر عن نوعها الأدبي وشكلها ومحتواها، في حين يعتمد تعريف الحركة "النسائية" في الأساس على جنس القائمات بالحركة وارتباط المصطلح بحركة تحرر النساء. ونحن حين ننطلق من مضمون الحركة والنص، والذي يعبر عن صوت وفعل يتعلق بقضايا النساء مرتكزاً إلى منطق حقوقي أساسه العدالة والمساواة بين الجنسين، فإننا هنا نتحدث عن نص "نسوي" وحركة "نسوية". فعلى سبيل المثال، حين تتحرك مجموعة من النساء من أجل إنهاء الاحتلال أو إسقاط الحاكم، يكون هذا حراكاً نسائياً في أساسه لأن المطالب هنا تساير مطالب فئات أخرى في المجتمع دون أن تأتي فقط دفاعاً عن مصالح النساء باعتبارهن فئة مستضعفة. كذلك فإن النص الذي تكتبه امرأة ويأتي ملتزماً ومحاكياً لمضمون وأسلوب الكتابات السائدة وغير معبر عن وعي نسوي، يكون نصاً نسائياً، ولكنه ليس بالضرورة نصاً نسوياً. هكذا فإن السمة المميزة هنا هي المضمون، مضمون الحراك ومضمون النص. وكثيراً ما نجد أنفسنا أمام اعتراضات على تميز النص الأدبي بناءً على الجنس الممثل في المنطق السائد بأن النص الأدبي إما أن يكون نصاً أدبياً أو لا يكون نصاً أدبياً، بناءً على معايير الكتابة الأدبية لا قياساً على جنس مؤلفه أو مؤلفته، وإلا وقعنا في ثنائية الأدب النسائي والأدب الرجالي. وهو منطق يتسم بقدر كبير من الصحة، ولكنه إنما يعبر عن خلط بين مفهوم الكتابة النسائية والكتابة النسوية[1].

ينصبّ النقد النسويّ على كشف مظاهر التحيّز ضد المرأة الكامنة في الأعمال الأدبية والقصصية . يرى أنّه يعزّز مكانة المرأة كعضو فاعلٍ في المجتمع. يوجّه هذا النقد سهامه إلى المجتمع الأبويّ وإلى الأدب الذي يتخذ الرجل مركزاً له، كما يسعى إلى تسليط الضوء على ثقافات وعادات وتقاليد الشعوب المختلفة، مقترحاً حلولاً تصدّ للتمييز ضد المرأة وتساهم في إحداث تغيير اجتماعي. يهدف النقد النسوي بالخصوص إلى تصوير أشكال العنف التي يمارسها الرجال ضد النساء، مديناً بالتالي التفضيل الهيكلي لجنس الذكر على الأنثى ومقاوماً له. وأما السبيل إلى التعرف على الروايات النسوية، فهو تصوير نساء تعرّضن للظلم والإيذاء من قبل الرجال في مختلف أبعاد حياتهنّ .

تقوم الباحثة النسوية ماجي هم (Maggie Humm) بتعريف "الجندر» (gender) باعتباره: مجموعة من الخصائص والسلوكيات التي تشكلت ثقافياً ويتم إضفاؤها على الإناث والذكور. والنظرية النسوية المعاصرة حريصة على التمييز بين الجنس والنوع.» كما توضح بام ليسك أن مفهوم الجندر يشير إلى انتقال "الجنس" من مجال الطبيعة إلى مجال الثقافة، حيث يتم اعتباره بناء اجتماعياً وموضوعاً بحثياً مرتبطاً بالسياق التاريخي، له تداعياته المؤثرة في النظرية الأدبية النسوية جنباً إلى جنب الأفرع المعرفية الأخرى كالتاريخ، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وغيرها من التخصصات العلمية[2].

فالوعي النسوي، فهو يشير إلى إدراك النساء لوضعهن الثانوي في المجتمع باعتباره وضعاً ظالماً مفروضاً عليهن في السياق الأبوي السائد. ولا يقف الوعي النسوي عند مرحلة الإدراك والرفض، وإنما يتجاوز ذلك إلى مرحلة الفعل الإيجابي المتمثل في التضامن والتحالف مع النساء اللاتي يشاركنهن هذا الإدراك، والسعي لتغيير الواقع الظالم بطرح رؤية بديلة أساسها العدل والعمل على تحقيقها. وهو تعريف بالتالي يوضح أساس الحراك النسوي المستند إلى الفكر

1 كمال، هالة(2015). النقد الأدبي النسوي، مؤسسة المرأة والذاكرة، ص9-11.

2 المصدر نفسه، صص 12.

والفعل، ويبلور مفهوم العمل النسوي باعتباره عملاً سياسياً ساعياً لإحداث تغيير على أرض الواقع. كما تضيف مؤكدة على أهمية مفهوم الجندر في فهم البشر لموقعهم داخل منظومة علاقات القوى تلك، وأثرها في تشكيل هوياتهم، وكيفية تغلغل علاقات القوى الجندرية داخل التخصصات والخطابات على تنوعها.

1-3-خلاصة الرواية

تتألف رواية أولاد الناس من ثلاث حكايات متوازية، في الحكايتين الأولى والثانية، تشير الرواية إلى تفشّي وباء الطاعون في عهد المماليك أكثر من مرة، لا سيما في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون وعهد السلطان برقوق. وتستعرض الرواية المعتقدات الشائعة حول أسباب انتشار هذا الوباء والأساليب العلمية والدينية التي لجأ إليها المماليك ورجال الدين للحدّ من انتشاره. كما توضح كيف أودى الطاعون بحياة عدد كبير من السلاطين والأمراء والعامة، وتؤكد في الوقت ذاته أن الخوف، على الرغم من كونه شعورًا إنسانيًا يجب احترامه، لا ينبغي أن يحتكر السيطرة على الإنسان. وتذكر الرواية أن البشر قد يفنون بسبب الأوبئة والحروب، لكن العمران الشامخ يبقى خالدًا لا يزول بوباء. إلى جانب ذلك، تضم الرواية العديد من الاقتباسات التي تجسّد ببراعة مشاعر وأفكار النفس البشرية في عصر المماليك، وتدلّ على أن التاريخ يعيد نفسه عبر العصور.

تتناول رواية «أولاد الناس: الحكاية الأخيرة» ثلاثة شخصيات محورية: هند، سالار، ومصطفى باشا، لتقدم دراسة معقدة للتوتر بين الهوية، السلطة، والذاكرة في مصر عصر المماليك. هند، ابنة المهندس المعماري لمسجد السلطان حسن، عاشت تجربة سيطرة المماليك منذ طفولتها، وتسعى جاهدةً للحفاظ على هويتها المحلية في مواجهة أنظمة الهيمنة. في هذا الإطار، تعرضت هند للاعتداء الجنسي من قبل الجنود العثمانيين، وقد سردت تفاصيل كيفية الهجوم والإيذاء الذي تعرضت له على أيديهم، مشيرةً إلى عمق الضرر النفسي والجسدي الذي أصابها نتيجة لذلك. في المقابل، سالار، غلام مملوكي صعد من سوق العبيد إلى منصب أمير، يتساءل حول معنى «أن تكون من أولاد الناس»، مستكشفًا انقسام هويته بين العبودية والسلطة. تتشكل بين هند وسالار علاقة حب محرمة في ظل المسجد الذي يمثل رمزاً للسلطة السياسية وسجنًا لرغباتهم. بعد مرور سنوات، يعيد المؤرخ المسن مصطفى باشا كتابة سردية حياة هند وسالار، في محاولة للحفاظ على «آخر حكاية لجيلهم» من النسيان، مع إبراز الطبيعة المتغيرة للحقيقة التاريخية وعلاقتها بالسرد. في خضم مؤامرات البلاط، انهيار القيم الأخلاقية، والصراع بين «أولاد البلد» و«أولاد الناس»، تكافح هند من أجل صوتها وحبها، بينما يبحث سالار في هويته الممزقة بين العبودية والقيادة. تطرح الرواية، من خلال التلاقي بين العمارة والتاريخ، ثلاثية الحب والسلطة والذاكرة، مؤكدةً أن أي سرد تاريخي أو عاطفي لا يكتمل إلا من خلال استمرارية الحكي عبر الأجيال. ويختم النص بتردد صدى صوت هند في حجارة مسجد السلطان حسن، كرمز لبقاء الهوية وإعادة إنتاجها عبر المكان والسرد والحب.

2-العنف العاطفي[1]

من مظاهر العنف العاطفي ضد النساء يمكن الإشارة إلى الإهمال، التقليل من الشأن، التجاهل لفترات طويلة، الصمت، الإهانة، انعدام الثقة والخيانة. هذه الأمور تؤدي إلى شعور بعدم الأمان، الاكتئاب، وانعدام الكفاءة لدى النساء في البيئة الاجتماعية. ولا يشترط في العنف العاطفي أن يصاحبه بالضرورة عنف جسدي ضد المرأة[2].

"أُصدقك القول يا عمتي، لم يلمسني حسام الدين، ولم يكن يهتم بي كامرأة، بل لم ينظر إلّي، كان يبقيني في حجرته ... وكأنني جثة فلا كاد يشعر بي[3]". هنا تحولح العلاقة إلى وجود مادي مجرد، حيث يُمارس العنف عبر الحرمان العاطفي لا بالضرب. وفي العبارة "كأنني جثة" هناك التشبيه بالموت العاطفي يُظهر كيف يُمكن للإهمال أن يكون أقسى من الضرب، فهو يُفقد الإنسان إنسانيته دون أن يلمسه. لا يكاد يشعر بي" تحول هنى إلى كائنة غير مرئية، وهو أشدّ أنواع العنف العاطفي إذ يُعدم العلاقات الإنسانية أساساً. العنف العاطفي هنا يُكمّل العنف الجسدي في الرواية، حيثرالاحتلال العثماني، يُمارس عنفاً مرئياً والاضطهاد الذكوري يُمارس عنفاً خفياً.

يُجسّد هذا المقطع نوعًا من العنف الصامت وغير الجنسي، حيث يتمّ إقصاء المرأة بالكامل من مجال النظر والرغبة

1 Passive Violence

2 رغبران، قاسم وديبرزاده، الهه (1991). العنف ضد النساء في القانون الجنائي الإيراني والمواثيق الدولية. صص50و51.

3 البسيوني، ريم(2023)، أولاد الناس، حكاية أخيرة، صص602.

الذكورية. فهي لا تُعامَل ككائن حيّ، بل تُختزل إلى شيء أو جثّة بلا روح، لا يُلتفت إليها ولا يُعترف بوجودها، وكأنها لا تستحق حتى أن تُرى.

في غياب الضرب أو الاعتداء الجسدي، يظهر هنا شكل من العنف النفسي والعاطفي العميق. فحسام الدين لا يُعنّف جسديًا، بل يتجاهل، ويُقصي، ويُهمّش. وهذا التجاهل ليس حيادًا بل يُمثّل إنكارًا لوجود المرأة وكيانها، وهو نوع من الإلغاء النفسي القاتل. وجود المرأة في هذه العلاقة أشبه بالبقاء البيولوجي فقط، دون أي معنى أو اتصال. فهي تُحتجز وتُقصى في عزلة كاملة، تعيش حالتها كما يُسمّيها علم نفس الصدمة بـ "الخَدَر العاطفي" (emotional numbness)، حيث يستمر الجسد في الحياة، لكنّ الروح غائبة.

3-العنف اللفظي

العنف اللفظي هو سلوك عدائي يُمارَس من خلال اللغة، حيث يستخدم الفرد كلمات أو تعبيرات جارحة، مهينة، أو مُهدِّدة بهدف إيذاء الآخر نفسيًا أو التقليل من كرامته وشأنه. ويُعَدّ هذا النوع من العنف شكلاً من أشكال الإيذاء النفسي، وقد يظهر في العلاقات الشخصية أو في السياقات الاجتماعية، كما يمكن أن يُمهِّد للعنف الجسدي أو يترافق معه[1].

يهدد حسام الدين هند بالقول: "لو هربتِ لأتركنك للجنود... سيتناوب عليك ثلاثون جنديًا حتى تموتي كالبهائم" في هذا التهديد، يستخدم المعتدي (حسام الدين) «الاغتصاب الجماعي» كأداة لإثارة الرعب وتحطيم نفسية الضحية. هدفه هو أن يتخيل المشهد المروع الذي لا يُطاق—ثلاثون جنديًا يتناوبون على اغتصابها، فينشط داخلها شعور اليأس والعار والخوف. هذه المشاعر القوية تدفع الضحية إلى فقدان الأمل في المقاومة أو الهرب من المعتدي.

"قال وهو ينظر إلى جسدي وكأنّه بضاعته: هو حقي، نعم، وأنت ملكي أفعل بك ماشئت اليوم وغدا وكل يوم، اخلعي ملابسك وكفي عن الكلام ". "هو حقي" و"أنت ملكي" تُعبّر عن ذروة الخطاب التملكي الذكوري. في هذا الخطاب، لا تُرى المرأة كائنة مستقلة بوصفها، بل كشيء يُمتلك، يُستعمل، ويُقرَّر بشأنه. هذه اللغة تنفي تمامًا وجود الذات ، والحق في الاختيار، والكرامة الإنسانية للمرأة. وصف الجسد بأنه "بضاعة" ليس مجرد إهانة، بل هو تشييء كامل (objecti-fication). هذا التحويل اللغوي للجسد إلى "سلعة" يعكس رؤية تُجرّد المرأة من إنسانيتها، وتحوّلها إلى أداة للمتعة أو للسيطرة، بدون إرادة، وبدون صوت. كما تعتقد خديجة الكاتب «إنّ تشييء النساء يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم اختزال المرأة إلى مجرّد شيء، ويمكن اعتباره شكلاً من أشكال هيمنة النظام الأبوي وسطوته على المجتمع. ففي هذا السياق، تُوضَع النساء في موقع دوني، يُنظر إليهنّ كسلعة يملكها الرجال الذين يتموضعون في القمة باعتبارهم رؤساء ومالكين للنساء، اللواتي يُتوقّع منهن الطاعة والخضوع. وفي مثل هذه المجتمعات، تُحرَم النساء من الحق في تقرير مصيرهنّ ». يزداد هذا الشعور في حسام الدين بسبب إنقاذ هند من أيدي جنود العثمانيين، إذ يشعر بملكيتها ويتعامل معها كما لو كانت شيئًا مملوكًا له.

"شدني إليه وقال في صوت ثعباني: بل أنا أملكك وليس لك سوي السمع والطاعة ". هنا اللغة تُذكّر بنصوص الاستعباد أو العبودية، خاصة مع استخدام كلمات مثل "تَمْلِك" و "طَاعَة. الفعل "شَدَّ" يعكس استخدام القوة الجسدية بشكل عدواني، مما يوحي بالسيطرة والإكراه. ممكن القول عبارة "أَمْلِكُكِ" تنفي وجود الضحية ككيان مستقل، مما قد يُشير إلى محاولة تدمير هوية أو كرامة هند والعبارة تكشف عن علاقة غير متكافئة، حيث يُمارس أحد الطرفين السيطرة المطلقة، بينما يُفرض على الآخر الانصياع. "صَوْتٍ ثُعْبَانِيّ" تشبيه الصوت بصوت الأفعى يُثير الشعور بالخطر والغدر، ويعزز صورة المُتحدث كشخصية شريرة أو سامة نفسيا؛ كما الثعبان في الأدب رمز للإغواء أو التهديد الخفي، مما قد يوحي بأن هذه السيطرة ليست جسدية فحسب، بل نفسية أيضاً. مع ذلك، فإن مقاومة هند بأنواعها المختلفة لا تنتهي، وهذا أمر يعترف به حسام الدين نفسه: "أنت محاربة لو كان المماليك مثلك ماأمكن للعثمانيين دخول القاهرة أبدا ". هنا النص يحمل نقداً لاذعاً للمماليك، ويُبرز أن هزيمتهم لم تكن حتمية، بل نتيجة تقاعسهم أو عدم اتحادهم. تُظهر هند "المقاومة" ليس فقط في الفعل، بل في روحها ونفسها أيضاً. يشير حسام الدين إلى مقاومة المرأة، مما يثبت أن الهزيمة لم تكن مصيرًا محتومًا ولو قاتل الآخرون كما قاتلت هي، ربما كان التاريخ قد كُتب بطريقة مختلفة. هذه النظرة تحوّل المرأة من

1 منظمة الصحة العالمية (WHO)، في تقاريرها عن «العنف القائم على النوع الاجتماعي» تُدرج العنف اللفظي ضمن أشكال العنف النفسي أو العاطفي.

ضحية إلى نموذج للنضال. حتى في موقف يبدو ميئوسًا منه (كالاغتصاب أو الاحتلال)، يمكن الوقوف والصمود. في بعض الأحيان جسد المرأة تحت السيطرة، لكن روح مقاومتها حرة وملهمة أما المجتمع/الدولة فكان لديها الموارد والقوة، لكنها افتقرت إلى روح المقاومة.

4–العنف الجسدي

العنف الجسدي ضد النساء ينبع من النظام الذكوري في المجتمع الذي يمنح الرجال الحق في ممارسة أي نوع من الأعمال والقوة. «الذكورية هي شكل من أشكال الإيديولوجيا التي تستهدف استضعاف النساء»[1].

في موضعٍ ما، هاجم الجنود العثمانيون هند وأخوها، وتصف هند هذا المشهد المؤلم بقولها: "ولكن يدا أو اثنين أو ثلاثا امسكت يمسكت بشعري وجرتني الأيدي وبطشت بي... ضربوني بأيديهم وأحذيتهم[2]". هنا سحب الشعر والضرب يمكن أن يكونا رمزًا لامتلاك الرجل لجسد المرأة (كما في حالة التحرش في الأماكن العامة وهنا في السوق). بإمكاننا القول سحب الشعر والضرب علامة على معاقبة الجسد الأنثوي بسبب "التمرد" على الدور الجندري المفروض. هذا المشهد ليس مجرد عنف جسدي بل استعارة للاحتلال (كما تُغتصب الأرض، يُغتصب الجسد). كشف آلية الأنظمة القمعية في تحويل العنف إلى ممارسة جماعية. "امسكت يمسكت بشعري" هنا شد الشعر ليس مجرد ألم جسدي، بل استعارة لسلب الحرية (التحكم في الحركة عبر الشعر)، هنا للشعر أيضا هناك الرمزية الثقافية لأن شعر المرأة في التراث العربي رمز الجمال والأنوثة وهنا يتحول إلى مقبض للقهر. الأيدي هنا تمثل العنف المباشر والحميمي والأحذية أداة تدنيس (إهانة بالضرب بأسفل الجسد). ممكن القول استخدام أفعال العنف المتسلسلة (مسك - جر - ضرب) لتأكد على تحقيق الألم الجسدي.

"وهذا جندي يصفعني صفعة تفقدني السمع برهة وتسكت لساني ويصبح الكون حولي بصوت واحد..[3] ". يُستخدم الصفع هنا ليس فقط لإيلام الجسد، بل لشلّ القدرة على الإدراك الحسي (فقدان السمع)، مما يرمز إلى محو الذات الإنسانية عبر تعطيل الحواس. هنا صبح الكون حولي بصوت واحد" يعني تشويه الإدراك نتيجة الصدمة، مما يعكس تفكيك الهوية عبر صدمة العنف.

يجلد حسام الدين شخصية هند بالسوط، في مشهد يكشف عن ممارسة العنف الجسدي ضد المرأة تحت غطاء "التأديب". تصف هند الألم بقولها: "الضربات تُنهي عظامي... دمائي تلطخ الجدران[4]". هذا التوصيف ينقل صورة جسد أنثوي يُفكَّك ويتحوّل إلى مساحة مفتوحة للانتهاك. هنا، لا يُمارَس العنف بوصفه انفعالًا مؤقتًا، بل يتحوّل إلى "عقاب مشروع" تبرّره الأبوية وتُلبسه ثوب النظام والانضباط. يُذكّرنا هذا المشهد بمفاهيم ميشال فوكو حول "انضباط الأجساد"، حيث يُمارَس العنف لا للقضاء على الجسد، بل لترويضه وإخضاعه. فالعنف هنا لا يهدف فقط إلى الإيذاء، بل إلى إنتاج جسد مطيع، جسد "يخضع" عبر الألم، ويُحوَّل إلى موضوع للهيمنة الذكورية. "يستهدف الانضباط تحويل الفرد إلى جسد طيع، خاضع، منتج[5]". تعبير هند: "دمائي تلطخ الجدران" يحوّل الدم الأنثوي إلى كتابة دامغة على الجدران، وكأن الجسد يصرخ حين تُمنع المرأة من الكلام. العنف يصبح "لغة بديلة"، والنزيف يتحوّل إلى شهادة صامتة على ما تُمارسه السلطة الذكورية. نرى في الروايات النسوية، يكون الجسد الأنثوي غالبًا ميدانًا تُمارَس عليه الهيمنة والعار في آنٍ معًا. فالهند لا تُعاقب فقط لأنها أخطأت (بحسب منطق السلطة)، بل لأنها أنثى، وجسدها قابل "للتطويع" في نظر الجلّاد الذكوري. مشروعية العقوبة في هذا السياق مستمدّة من منطق أبوي يعتبر أن جسد المرأة لا يخصّها، بل هو مِلك الرجل (الزوج، الأب، الأخ، أو حتى النظام السياسي). وبالتالي، يُصبح "تأديبها" إذا خرجت عن الطاعة أمرًا مبرَّرًا، بل واجبًا في بعض الثقافات.

التحرش الجنسي

ما تتعرض له المرأة في حياتها من تحرش جنسي يترك أثراً نفسياً عميقاً. ففي مجتمع ذكوري يسعى إلى هدر كرامة المرأة،

1 تان، روزماري(2015)، مقدمة شاملة لنظريات النسوية، ترجمة منيمة نجم العراقي، طهران: ني، ص 213.

2 البسيوني، ريم(2023)، أولاد الناس، حكاية أخيرة، صص597.

3 البسيوني، ريم(2023)، أولاد الناس، حكاية أخيرة، صص598.

4 البسيوني، ريم(2023)، صص631.

5 فوكو، ميشال. المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن. ترجمة: سالم يفوت، ص 141.

تصبح محاولات التحرش والنسق الثقافي السائد مصدراً للخوف والقلق المستمر. هذا القلق يتجسد بشكل خاص في الخوف من العضو الذكري، الذي يصبح رمزاً لمحاولات الرجل المتكررة لانتهاك جسد المرأة بدافع إشباع رغباته[1].

في هذه الرواية، تصف هند بشكل واضح ومفصل ومؤلم تجربة العنف الوحشي الذي تعرضت له من قبل الجنود العثمانيين في السوق. «دوي صوت الصرخات وانفصل عني، وانفصلت الروح عن الجسد لحظات، توسلت وتلعثمت، ولم أستطع المقاومة ولم يفهمني الجنود، ولاأتذكر سوى شراهة أعينهم ورداءئ الممزق والأيدي التي تطلب المزيد[2]». في هذا الموضع، تسرد هند تجربتها المريرة تجاه هذا الحدث الأليم من خلال امتزاج السرد بالتعبير عن مشاعرها الداخلية ويُمثّل نموذجًا بارزًا لتصوير العنف الجنسي في الرواية، وحيث يعكس ليس فقط الجانب الفردي للمأساة، بل أيضًا أبعادها الاجتماعية والسياسية والثقافية. فالراوية لم تُصَب بجسدها فقط، بل فقدت صوتها وكرامتها وحضورها في المجتمع، وأصبحت ضحية لسلطة تتجلّى في أشكال عسكرية ولغوية وجنسية. تُجسّد عبارة ‹ولم أستطع المقاومة› تجلّيًا صارخًا لسطوة النظام الأبوي، الذي سلب من النساء قدرة المقاومة، وجرّدهنّ من حقّ الدفاع عن ذواتهنّ. عبارات مثل «توسلت وتلعثمت، ولم أستطع المقاومة» باستخدام أفعال الماضي المتتابعة تُبرز إيقاعًا سريعًا ومقطّعًا يعكس العجز. المرأة هنا تمتلك صوتها، ولكن صوتها لا يُسمع. وعبارة «ولا أذكر سوى شراهة أعينهم» تُعبّر عن تشييء جسد المرأة بشكل شديد، حيث لم تعد سوى جسد يُستغل من أجل متعة الآخرين، وليست إنسانًا كاملًا. العنف الذي وصفتِه هند هو نتاج نظام يرى جسد المرأة وحريتها مجالًا للسيطرة. نستطيع أن نقول هنا تحول الجسد الأنثوي إلى ساحة لـ إثبات القوة الذكورية عبر العنف والانتهاك [3].

عبارة «دوي صوت الصرخات صوت الصرخات وانفصل عني، وانفصلت الروح عن الجسد لحظات»، تعبّر بوضوح عن حالة الانفصال النفسي (dissociation)، وهو رد فعل نفسي شائع بين ضحايا الصدمات النفسية الشديدة، لا سيما في حالات العنف الجنسي. الانفصال النفسي هو آلية دفاعية يقوم بها الدماغ لفصل الوعي عن الواقع المؤلم، مما يقلل من الشعور بالألم العاطفي والجسدي مؤقتًا. هذا المفهوم مدعوم بأبحاث واسعة في مجال علاج الصدمات النفسية كما بيّنه الباحثان جوديث هيرمان وبسيل فان دير كولك (Herman, 1992; Van der Kolk, 2014)[4].

«فالجنود دوما يشتاقون إلى امرأة، أي امرأة بعد شهور من العطش في الصحراء ... كنت تقولين يا عمتي إن الجندي بعد أن يقتل يصاب بداء غريب ويحتاج إلى أن يفرغ عنفه وندمه وعجزه ويأسه في امرأة وإنه يتلذذ بالصرخات.. كان لابد أن أتوقف عن الصراخ.. ولم أستطع.. ربما لو توقفت عن الصراخ..ضغطت على جنبي وأنا أقول في صوت لا أعرفه: أغيثوني! بدأ الكون يبتعد والحواس تتقهر ... والتنفس يصبح سهلاً ... لا أجساد تخنق جسدي ولا أيادي تتحسس صدري ولا شيء ... «. الربط بين القتل والرغبة الجنسية يُظهر كيف تُحوِّل الآلة العسكرية الجنود إلى وحوش، حيث يصبح العنفان (الجنسي/العسكري) وجهين لعملة واحدة. لتلذذ بألم الآخر يناقض صورة «البطل العسكري»، ويكشف الانفصام الأخلاقي للنظام الذكوري العسكري. بالنسبة إلى عبارة «الكون يبتعد ... الحواس تتقهر» الانزياح هنا لا يصف الإغماء فحسب، بل تفكُّك العالم كله كاستعارة لانهيار الإنسانية في الحرب. محاولة هند كتم الصراخ («كان لابد أن أتوقف») تعكس فهمها أن صراخها يُغذي سادية المعتدي، لكنها تفشل وهذا الفشل يُظهر أن المقاومة مستحيلة في مواجهة آلة عنف منظمة.

«ضغطت على جفني» الجسد هنا يُحاول حماية نفسه من الداخل بعد عجزه عن المواجهة الخارجية. اغتصاب هند ليس حدثاً فردياً، بل استعارة لاغتصاب مصر: الجنود العثمانيون تمثل قوات الاحتلال. والجسد الأنثوي هو الأرض المستباحة. والصراخ المكبوت نفس أصوات الشعب المغيبة. يظهر هذه العبارة أن العنف الجنسي في الحرب ليس شذوذاً، بل أداة منظَّمة لترسيخ الهيمنة. المقاومة حتى لو فشلت تظل شهادةً على الوحشية المنظمة.

1 أبورطية، هاني، في النظرية النقدية المعاصرة، صص222.

2 البسيوني، ريم(2023)، صص598.

3 أبورطية، هاني، في النظرية النقدية المعاصرة، صص222.

4 كتاب «الصدمة والتعافي» من تأليف جوديث لويس هيرمان (Judith Lewis Herman)، (1992). ص 67. وكتاب «الجسد يحفظ الأثر» من تأليف بسل فان دير كولك (Bessel van der Kolk)، (2014)، صص 136.

«هذا (جندي) يدس يده في صدري... ولكنني قاومت وأردت أن أبقى مستيقظة واعية للجريمة والاعتداء. الدماء تنتشر في الحلق، كانوا عشرة أو أكثر[1]»،التعبير «يدس» يوحي بالاختراق القسري، وهو فعل لا يهدف فقط إلى الإذلال، بل إلى تحويل الجسد إلى فضاء محتل، تماماً كما تحتل الأرض. هنا الاعتداء على جسد هند يُوازي اغتصاب مصر (أرض مُستعمَرة)، حيث يصبح العنف الجنسي لغة سياسية تعبّر عن السيطرة. من الجدير الإشارة إلى المقاومة الخفية لهند كأن جسدها كساحة صراع. رغم شلّ الجسد، تُحافظ هند على إدراكها كشكل من أشكال المقاومة وهذا يعكس فلسفة الرواية بأن الوعي بالعنف هو بداية مواجهته. التكرار العددي ليس حرفياً، بل يُشير إلى تكتيك التكاثر في العنف الاستعماري، حيث يُستخدم العدد لتحقيق الإبادة الرمزية. وعبارة «كانوا عشرة أو أكثر» هنا، تشير إلى غياب الفردية لدى المعتدين، وكأنّ عددهم لا يهمّ، فهم يمثلون نظامًا عنيفًا وأبويًا ينكر شخصية المرأة الفردية. فالمرأة ليست في مواجهة شخص واحد، بل تواجه نظامًا كاملًا من الهيمنة الذكورية.

في مشهدٍ آخر، يغتصب حسام الدين هند ويجبرها على الاستسلام: «اخلعي ملابسك، لم أركِ بعد، أريد أن أرى جسدكِ». في هذا المشهد، نواجه نموذجًا كاملاً من العنف الجنسي الأبوي الذي يستخدم اللغة والجسد والسلطة لإذلال المرأة والسيطرة عليها وتجريدها من إرادتها. لا يبرز هذا السرد فقط الأبعاد النفسية والجسدية للعنف ضد النساء، بل يمكنه أيضًا أن يوفر أساسًا لتحليل الهياكل الأبوية العميقة. نواجه مشهدًا صريحًا لفرض السلطة الذكورية على الجسد الأنثوي. الرجل (حسام الدين) لا يستخدم فقط قوته الجسدية والاجتماعية للاغتصاب، بل يحول المرأة إلى موضوع جنسي بحت، حيث تكمن قيمتها فقط في عريها وإرضاء الرجل بصريًا. استنادًا إلى تحليلات النسوية الراديكالية، يعكس هذا المشهد هيكلًا أبويًا يعتبر جسد المرأة «ملكًا للرجل»، ويجعل الاغتصاب أداة لتثبيت وإعادة إنتاج هذه السلطة. جملة «أريد أن أرى جسدكِ» تتجاوز الرغبة الجنسية؛ فهي رمز للرغبة في التملك، السيطرة، وإذلال المرأة. هذا النوع من العنف الجنسي في النصوص الأدبية، بالعبارة الأخرى. حسام الدين بإجبار المرأة على التعري، يسلبها فرديتها.

في جزء آخر من الرواية، تتعرّض هند للاغتصاب على يد حسام الدين، الذي كان في البداية منقذها من جنود العثمانيين، وذلك رغم مقاومتها، وهي تصف هذا الحدث على النحو التالي: «قام في هدوء وأمسك بذراعي، شدّني فصرخت رغما عني فكتم فمي بيده، ودفع بي إلى فراشه، حاولت المقاومة دون جدوى، صارعته بيده وذراعي، بقدمي وساقي، بأسناني وقلبي.. ركلته بساقي. ولكنه بعد برهة سيطر علّى تماما وأصبح جسدي مختنقا يكاد يموت تحت جسده، وعرفت أنها النهاية وأن لامفر من الهزيمة ... ولكن جسدي ثار وارتعد في قوة وانتفض رافضا هذا السطو ... اختنقت أنفاسي وبدا وجهي أزرق وكأنني دهست الروح وذبحت الصدر"[2]. نجحت الكاتبة في نقل مشاعر الرعب والاشمئزاز إلى القارئ، وفي الوقت نفسه صوّرت مقاومة الضحية اللاواعية. توصّف هذه الجملة مشهداً عنيفاً ينطوي على الاغتصاب، وقد رُوي بلغة شديدة العاطفة ومؤلمة للغاية. استخدمت الكاتبة كلمات وصوراً قوية لنقل مشاعر العجز، والخوف، والمقاومة. استخدام الفعلات السريعة والمتتالية (صرخت، كتم، دفع، صارعته) لنقل الإحساس بالصراع والضراوة. التكرار في حرف الباء (بيدي، بذراعي، بقدمي ...) يعكس اليأس والتشبث بأدوات المقاومة. يوجد التدرج في المشاعر في هذه الجملة من المقاومة ("حاولت المقاومة") إلى اليأس ("لا مفر من الهزيمة") ثم التمرد الغريزي ("جسدي ثار وارتعد"). يتناول هذا النص موضوع الاغتصاب، والهيمنة، والمقاومة الداخلية. فالساردة لم تتعرض للهجوم جسدياً فحسب، بل نال العدوان من نفسيتها أيضاً، حتى كادت أن تنهار بالكامل. ومع ذلك، وحتى في اللحظة التي بدا فيها أن كل شيء قد انتهى، أنقذها غريزة البقاء وتمرد الجسد ومع ذلك، فإن جسدها يستجيب بشكل غريزي ("ثار وارتعد ... انتفض")، مما يُظهر التناقض بين الاستسلام والبقاء. «وجهي أزرق»، «كأنني دهستُ الروح»، «ذبحتُ الصدر»، هذه الاستعارات تنقل شعوراً بالاختناق، والموت، والعذاب الشديد. في الواقع، تسعى الكاتبة من خلال تكرار متتالٍ لاستعاراتها إلى إيصال مشاعر الألم والعنف الواقع على البطلة في سردها.

تسعى الكاتبة من خلال ربط الحدث الجسدي المؤلم بوصف الخصائص النفسية لهذا الحدث إلى توضيح الأبعاد النفسية

1 البسيوني، ريم(2023)، ص598.

2 البسيوني، ريم(2023)، ص602.

له، وكذلك ردود الفعل الدفاعية التي تنتج عنه. يمثل هذا المشهد نموذجاً كلاسيكياً لتجربة الصدمة الجنسية، حيث يكون عقل الضحية وجسدها في حالة استجابة لتهديد خطير يهدد كيانها بالكامل. تدخل الضحية في حالة "القتال أو الفرار" (Fight or Flight)، أو حتى المرحلة الثالثة المعروفة بـ"التجمّد" (Freeze). في البداية تحاول أن تقاوم وتهرب، لكن بعد فشلها في الدفاع، ينتقل عقلها إلى مرحلة القبول المرّ بالهزيمة والانجماد النفسي(Van der Kolk, B. A. 2014)

5–النتائج

عبر رحلة الدراسة الاستقصائية لرواية أولاد الناس لريم بسيوني استطاعت الدارسة أن تبين أن الرواية لم تكن تعالج صورة الأنثى من من منظور جندري بل كانت تقدمه في صورة وطنية سياسية واقتصادية واجتماعية، تقف فيه صورة المرأة بوصفها مكونًا اجتماعيًا مهما في نسيج المجتمع ورنائه، وأن ما يقع على الوطن يقع على المرأة التي هي في القلب منه، وهي عنصر قوته وعزته، وكذلك ضعفه وعاره.

ربطت الدراسة بين الهيمنة الذكورية والهيمنة الاستعمارية بوصفهما مكونًا ذكوريا قائمًا على استخدم القوة المفرطة من أجل الإخضاع: إخضاع الأوطان والام / المرأة والجسد، فكلما تم استباحة الأوطان بفعل الاستعمار تم استباحة جسد المرأة بوصفه وطن المجتمع ووطن الجمال والعطاء، فكسره وتحطيمه ضرورة ذكورية استعمارية لاستكمال عمليات الهيمنة والاحتلال.

كشفت الدراسة عن تعدد صور العنف الموجه ضد الأنثى ومظاهره، فكان العنف الجسدي، والمعنوي، واللفظي، والجنسي، والاستعبادي، لقد كان العنف وسيلة ممنهجة للوصول إلى الهيمنة التامة على المرأة / الجسد / الوطن؛ فبرزت بوضوح انعكاسات التروما النفسية، مثل الانفصال النفسي والخدر العاطفي وفقدان الصوت، لتدلل على الآثار البعيدة للعنف في تشكيل هوية النساء ووعيهنّ بذواتهنّ أثبتت الدراسة أن النص كان اجتماعيًا قريبًا من العقلانية والمنطقية فلم يُظهر المرأة بوصفها ضحية فقط، بل أظهرها مقاومة وفاعلة في محيطها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والوطني وكانت نموذجًا فاعلًا في حفظ الهوية الوطنية.

تسهم هذه الدراسة في إضاءة تمثيلات العنف الجندري في نص أدبي معاصر، وربطه بمفاهيم النسوية ونظريات الصدمة والتحليل ما بعد الكولونيالي. وتؤكد النتائج أن الأدب لا يكتفي بعرض المعاناة، بل يقدّم أفقًا نقديًا يُعيد مناقضة الهيمنة الأبوية والسياسية، ويؤكد على دورالنساء الفاعل في الحياة العربية وفي السرد والتاريخ.

المراجع

1. ابن منظور(1956). لسان العرب، بيروت: بيروت للطباعة والنشر.
2. أحمد زآي بدوي(1986)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان.
3. المجلس الوطني لشؤون الأسرة(2008)، «العنف ضد المرأة: رؤ يا مشتركة لاحداث التغيير»، السياسات-نشرة دورية، عدد رقم 2 حزيران.
4. رزقا، نوري(2020). صورة العنف في رواية «موت الرجل الوحيد على الأرض» لنوال السعداوي: دراسة تحليلية اجتماعية مقدمة لاستيفاء متطلبات الامتحان النهائي للحصول على درجة الماجستير، جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، دار السلام.
5. تان، روزماري، (2015)، مقدمة شاملة لنظريات النسوية، ترجمة متيمة نجم العراقي، طهران: ني.
6. جيجك، سلافي (2011)، العنف: خمس نظرات من تحت الرمق، ترجمة عليرضا باكنهاد، الطبعة الثانية، طهران: دار هزارة سوم.
7. أبورطيبة، هاني(2023). في النظرية النقدية المعاصرة، قاهرة: أم الدنيا للدراسات والنشر والتوزيع.
8. كمال، هالة(2015). النقد الأدبي النسوي، الطبعة الأولى، القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة.
9. رنجران، قاسم ودبيرزاده، الهه (1991). العنف ضد النساء في القانون الجنائي الإيراني والمواثيق الدولية. الطبعة الأولى، طهران: نشر فرهنگ‌شناسي.

01. موران، بورنا. (٢٠٠٩ م). نظريات الأدب والنقد. ترجمة ناصر داوران. طهران: منشورات نكاه.
11. البسيوني، ريم(2023). أولاد الناس (الحكاية الأخيرة). القاهرة: دار مصر، الطبعة العاشرة.
12. الكاتب، خديجه(2016). موضوعات الكتابة النّسويّة في رواية خارج‌الجّسد لعاف البطانية، الجزاير: جامعة العربيّن المهدى.
13. فوكو، ميشال(2004). المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن. ترجمة: سالم يفوت. بيروت: المركز الثقافي العربي.
41. منظمة الصحة العالمية (WHO)،»العنف القائم على النوع الاجتماعي» .
15. WHO: 1.6 million die in violence annually
16. Tyson, L. (2013). Literary Criticism Theories. Translated by Maziyar Hosseinzadeh and Fatemeh Hosseini. Second Edition. Tehran: Negah Emruz.
17. Van der Kolk, B. A. (2014). The body keeps the score. Viking Press.
18. Herman, J. L. (1992). Trauma and recovery. Basic Books.

Representations of Gender-Based Violence between Domination and Resistance: A Feminist Approach to the Novel Awlad al-Nas

Abstract

Violence against women is defined as any act of aggression driven by gender-based discrimination that results in, or is likely to result in, physical, sexual, or psychological harm, including threats, coercion, or arbitrary deprivation of liberty, whether in public or private life. Reem Bassiouney's novel Awlad al-Nas (Children of the People) is structured around three parallel narratives, each addressing themes of power, gender-based violence, patriarchal domination, and women's suffering. The female characters embody diverse models of victims of systemic violence, while the narrative emphasizes how women confront inner pain and, at times, identify with their oppressors in a complex interplay of coercion, attachment, and fracture. This study explores the representations of gender-based violence in Awlad al-Nas through a feminist analytical lens, with particular attention to the female body as a site of domination and symbolic colonization. Drawing on feminist criticism, trauma theory, and postcolonial perspectives, the research examines the interwoven relationship between body, identity, and power. The findings demonstrate how the female body functions as a political metaphor for the violated homeland, how silence and submission are reproduced through violence, and how moments of awareness and silent resistance are articulated through language and narrative.

Keywords
Violence
Gender
Reem Bassiouney
Sexual Harassment
Sexuality

Représentations de la violence de genre entre domination et résistance : une approche féministe du roman Awlad al-Nas

Résumé

La violence à l'égard des femmes désigne tout acte de violence fondé sur l'appartenance au sexe féminin, qui entraîne ou est susceptible d'entraîner pour les femmes des dommages ou des souffrances de nature physique, sexuelle ou psychologique, y compris la menace de tels actes, la contrainte ou la privation arbitraire de liberté, que ce soit dans la vie publique ou privée. Le roman Awlad al-Nas se compose de trois récits parallèles, dont chacun constitue un axe narratif traitant de questions liées au pouvoir, à la violence de genre, à la domination masculine et aux souffrances des femmes. Les personnages féminins incarnent différents modèles de victimes de violence systématique, et l'auteure s'efforce de mettre en évidence la manière dont les femmes affrontent leur douleur intérieure, et comment elles peuvent, parfois, s'identifier au bourreau ou à l'agresseur dans un contexte complexe d'oppression, d'attachement et de brisure. Cette étude a mis en lumière les représentations de la violence de genre dans le roman Awlad al-Nas de l'écrivaine Reem Bassiouni, à travers une lecture féministe analytique centrée sur le corps féminin comme espace de domination et de colonisation symbolique. L'étude s'appuie sur des approches issues de la critique féministe, des théories du traumatisme psychique et d'une vision postcoloniale pour comprendre la relation complexe entre le corps, l'identité et le pouvoir. La lecture révèle comment le corps féminin se transforme en métaphore politique représentant la patrie violée, comment le silence et la soumission sont reproduits par la violence, tandis qu'émergent des moments de conscience et de résistance silencieuse dans le langage et la narration

Mots clés
Violence
Genre
Reem Bassiouni
Harcèlement
Sexe

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023